The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Psalms (40-42)	سِفْر المزامير (المَزامير 40 42)
#D_20081121	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 648
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ، صَديقي المُستَمِع، في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم". في حَلْقَةِ اليوم، سَنُتابِعُ بِنِعْمَةِ الربِّ دِراسَتَنا التَّفسيريَّة لِسِفْرِ المَزامير على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

فَإنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على المَزْمور 40. أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ، يا صَديقي، هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

هل تَشْعُرُ بالكَآبَةِ أحْيانًا؟ وَهَلْ تَغْمُرُكَ الهُمومُ والمَشاكِلُ في بعضِ الأوقاتِ؟ ما العَمَلُ إذًا، هَلْ نَسْتَسْلِمُ لهذهِ المَشاعِرِ السَّلبيَّةِ؟ لا يا صَديقي. فكَلِمَةُ اللهِ تُقَدِّمُ لنا الحَلَّ وَالعِلاج. وكُلَّما تَمَسَّكْنا باللهِ وَكَلِمَتِهِ، نَجِدُ الحَلَّ لِجَميعِ هُمومِنا وَأتْعابِنا وَمَشاكِلِنا.

وَالآنْ نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين، مَعَ دَرْسٍ قَيِّمٍ نَتَأمَّلُ فيهِ في المَزامير 40 و 41 و 42، دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

لقد وَصلنا، يا أحبائي، إلى المزمورِ الأربَعين، وهُوَ مَزمورٌ لداود. ويَبتدئُ هذا المزمور بالكلماتِ التاليةِ في الأعداد 1 3:

انْتَظَارًا انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي، وَأَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ الْهَلاَكِ، مِنْ طِينِ الْحَمْأَةِ، وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي، وَجَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَةً لإِلهِنَا. كَثِيرُونَ يَرَوْنَ وَيَخَافُونَ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ.

مِنَ الواضِح أنَّ داودَ كانَ يَمُرُّ بضيقةٍ شديدةٍ عندما كَتَبَ هذا المَزمور. وقد رَأينا في المزاميرِ السابقةِ أنَّهُ كانَ لديهِ أعْداءٌ كُثُرٌ. وقد رأينا أيضًا أنَّهُ كانَ مَريضًا جِدًّا في فَتْرَةٍ مَا. ومَعَ أنَّنا لا نَعلمُ يَقينًا سَبَبَ ضِيْقَةِ داوُدَ هُنا، فإنَّنا نَعلمُ أنهُ لم يَفْقِد رجاءَهُ في الربِّ. بل إنهُ يقولُ: "اِنْتِظَارًا انْتَظَرْتُ الرَّبَّ". بعبارةٍ أُخرى، فقدِ انْتَظَرَ الرَّبَّ بِيَقينٍ عالِمًا أنَّ الربَّ لن يَتخلَّى عنهُ. وقَدْ سَمِعَ الربُّ تَضَرُّعاتِهِ لأنَّهُ يَقولُ: "فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي". لذلكَ، حَتَّى إنْ طالَ انْتِظارُكَ للرَّبِّ، يا صَديقي، تأكَّدْ أنَّهُ سَيَميلُ إليكَ وَيَسْمَعُ تَضَرُّعاتِكَ.

وماذا يَقولُ داودُ أيضًا؟ إنهُ يقولُ: "وَأَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ الْهَلاَكِ. مِنْ طِينِ الْحَمْأَةِ". فقد كانَ داودُ يَشْعُرُ أنَّهُ في حُفْرةٍ عميقةٍ لا يَسْتَطيعُ الخُروجَ مِنْها بِنَفْسِه. ولكِنَّهُ يَشْهَدُ أنَّ الربَّ قَدْ أنْقَذَهُ مِنْ بالوعَةِ اليَأسِ تِلْكَ. وليسَ هذا فقط، بل إنَّهُ يَقولُ: "وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي". فقد وَضَعَ اللهُ قَدَمَيْ داودَ على أرْضٍ صُلْبَةٍ وَمَنَحَهُ ثَباتًا في إيمانِهِ. والكِتابُ المقدَّسُ يُعَلِّمُ أنَّ المسيحَ هُوَ صَخْرَتُنا. ويَقولُ داودُ أيضًا: "وَجَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَةً لإِلهِنَا". فعندما يَتَدَخَّلُ الربُّ لإنقاذِنا، لا يَسَعُنا إلَّا أنْ نُرَنِّمَ لَهُ وَنُسَبِّحَهُ على تَخْليصِهِ لَنا.

ويقولُ داودُ: "كَثِيرُونَ يَرَوْنَ وَيَخَافُونَ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ". فعندما رأى كَثيرونَ ما حَدَثَ لداود، خافوا. فإنْ كانَ داوُدُ قَدْ وَقَعَ في حُفْرَةٍ عَميقَةٍ كهذهِ، ما الَّذي سَيَحْدُثُ لَهُمْ أوْ للآخَرين؟ ولكنَّ الخَوْفَ لا يَجْعَلُ المُؤمِنَ يَبْتَعِد عَنِ اللهِ الحَيِّ، بل يَجْعَلُهُ يَقْتَربُ إلى اللهِ وَيَتَوَكَّل عليهِ أكْثَرَ فأكْثَر.

ثُمَّ يَقولُ داوُد في العَدَدَيْنِ الرابع والخامس مِنْ هذا المَزمور:

طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي جَعَلَ الرَّبَّ مُتَّكَلَهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْغَطَارِيسِ وَالْمُنْحَرِفِينَ إِلَى الْكَذِبِ. كَثِيرًا مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لاَ تُقَوَّمُ لَدَيْكَ. لأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ.

أجَلْ يا صَديقي! "طُوْبى للرَّجُل" [أيْ: يا لِسَعادَةِ الرَّجُل] الَّذي جَعَلَ الرَّبَّ مُتَّكَلَهُ". فالذي يُؤمِنُ باللهِ يَنالُ المَواعيدَ. والذي يَتَّكِلُ على الرَّبِّ (كَما يَقولُ الكِتابُ المُقَدَّسُ) لا يَخيبُ رَجاؤُهُ. كذلكَ، طُوْبى للرَّجُل [أيْ: يا لِسَعادَةِ الرَّجُل] الَّذي لَمْ يَلْتَفِتْ إلى الْغَطَارِيسِ وَالْمُنْحَرِفِينَ إلى الْكَذِب". فاللهُ قُدُّوسٌ ولا يُطيقُ الخَطِيَّةَ. ويَنْبَغي لنا أنْ نَتَمَثَّلَ بِهِ في كُرْهِنا للخَطِيَّةِ. لذلكَ، يجبُ على المؤمن أنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الأشْخاصِ الَّذينَ اخْتارُوا بِعِنادٍ أنْ يَعيشوا حَياةَ التَّكَبُّرِ وَالكَذِب. وحَقًّا إنَّ عَجائِبَ نِعْمَةِ اللهِ تَفوقُ الوَصْفَ ولا يُمْكِنُنا أنْ نَعُدَّها أوْ نُحْصيها.

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَدِ السَّادِس:

بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ.

فاللهُ، يا أحِبَّائي، لا يُريدُ ذَبائِحَ حَيَوانِيَّةً كَما كانَ يَفْعَلُ شَعْبُهُ في العهدِ القَديم. فالذبائحُ الحَيَوانِيَّةُ لا تَرْفَعُ الخَطِيَّةَ ولا تُرْضي اللهَ. فَقَدْ كانَتْ كُلُّ تِلْكَ الطُّقوسِ في العهدِ القديمِ مُجَرَّدَ رُموزٍ ليسوعَ المسيحِ الَّذي سَيَأتي. وبَعْدَ أنْ جَاءَ يَسوعُ إلى العَالَمِ وَماتَ ذَبيحَةً عَنْ خَطايانا، أبْطَلَتْ تِلْكَ الرُّموز. إذًا، ما الَّذي يُسِرُّ قَلْبَ اللهِ؟ إنَّ الرَّبَّ يُسَرُّ بِتَكْريسِنا وَطاعَتِنا لَهُ. بِعبارةٍ أُخرى، إنَّهُ يُريدُ قَلْبَكَ.

ثُمَّ يَقولُ داودُ في العَدَدَيْن 7 و 8:

حِينَئِذٍ قُلْتُ: «هأَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي: أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي».

والحَديثُ هُنا هُوَ عَنْ يَسوع. فالابْنُ هُوَ الَّذي قالَ للآبِ: "هَأنَذا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي: أنْ أفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أحْشَائِي". فَمِنْ أجْلِ مَجْدِ اللهِ الآبِ وَخَلاصِنا، ارْتَضى يَسوعُ أنْ يَأخُذَ صُوْرَةَ عَبْدٍ وَأنْ يَحْتَمِلَ الخِزْيَ والعَارَ وَالمَوْتَ على الصَّليب. وَهُوَ يَقولُ: "وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أحْشَائِي". فاللهُ كَتَبَ شَريعَتَهُ في قَلْبِكَ. وَعِنْدَما تَكونُ مُكَرَّسًا لَهُ فإنَّ شَريعَتَهُ تَصيرُ مَصْدَرَ سُرورٍ وابْتِهاجٍ في حَياتِكَ. لذلكَ فإنَّ المُؤمِنَ الحَقيقيَّ لا يَشْعُرُ أنَّ عَمَلَ مَشيئَةِ اللهِ عِبْءٌ ثَقيلٌ عليهِ، بلْ إنَّهُ يُسَرُّ بِذَلِكَ وَيَفْرَح.

ثُمَّ يَقولُ داودُ في العَدَدَيْن 9 و 10:

بَشَّرْتُ بِبِرٍّ فِي جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ. هُوَذَا شَفَتَايَ لَمْ أَمْنَعْهُمَا. أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِمْتَ. لَمْ أَكْتُمْ عَدْلَكَ فِي وَسَطِ قَلْبِي. تَكَلَّمْتُ بِأَمَانَتِكَ وَخَلاَصِكَ. لَمْ أُخْفِ رَحْمَتَكَ وَحَقَّكَ عَنِ الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ.

إذًا فقد شَارَكَ داوُدُ في إخْبارِ الآخَرينَ عَنْ عَدْلِ اللهِ، وَأمانَتِهِ، وَخَلاصِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَحَقِّهِ. وَهَذا هُوَ وَاجِبُ كُلِّ شَخْصٍ مِنَّا: أنْ نُخْبِرَ بِفَضائِلِ الَّذي دَعانا مِنَ الظُّلْمَةِ إلى النُّور.

ثُمَّ يَقولُ داوُدُ في الأعْداد 11 15:

أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَلاَ تَمْنَعْ رَأْفَتَكَ عَنِّي. تَنْصُرُنِي رَحْمَتُكَ وَحَقُّكَ دَائِمًا. لأَنَّ شُرُورًا لاَ تُحْصَى قَدِ اكْتَنَفَتْنِي. حَاقَتْ بِي آثَامِي، وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْصِرَ. كَثُرَتْ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي، وَقَلْبِي قَدْ تَرَكَنِي. اِرْتَضِ يَا رَبُّ بِأَنْ تُنَجِّيَنِي. يَا رَبُّ، إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ. لِيَخْزَ وَلْيَخْجَلْ مَعًا الَّذِينَ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لإِهْلاَكِهَا. لِيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلْيَخْزَ الْمَسْرُورُونَ بِأَذِيَّتِي. لِيَسْتَوْحِشْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمِ الْقَائِلُونَ لِي: «هَهْ! هَهْ!».

فَما أحْوَجَنا جميعًا، يا أصدقائي، لِرَأفَةِ اللهِ الحَيِّ، ونُصْرَتِهِ، ورَحْمَتِهِ، وَحَقِّهِ. فهناكَ شُرورٌ كَثيرةٌ تَكْتَنِفُ المُؤمِنَ. وَهُناكَ آثامٌ كَثيرَةٌ مِنْ حَوْلِنا. لذلكَ، يَجِبُ علينا أنْ نَصْرُخَ إلى الرَّبِّ كَيْ يُنَجِّينا وَيُنْقِذَنا. وبالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مُؤامَراتِ عَدُوِّ نُفوسِنا (إبليس)، فإنَّنا نَثِقُ كُلَّ الثِّقَةِ أنَّ الخِزْيَ سَيَلْحَقُ بِهِ إلى أبَدِ الآبِدين لأنَّهُ "إنْ كانَ اللهُ مَعَنا، فَمَنْ عَلَيْنا".

ثُمَّ يَقولُ داوُد في العَدَد 16:

لِيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ جَمِيعُ طَالِبِيكَ. لِيَقُلْ أَبَدًا مُحِبُّو خَلاَصِكَ: «يَتَعَظَّمُ الرَّبُّ».

ويا لَيْتَنا جَميعًا نُرَدِّد هذهِ الكلماتِ دائمًا فيَكونُ نَشيدُنا الدَّائِمُ هُوَ: "يَتَعَظَّمُ الرَّبُّ".

وأخيرًا، يَقولُ داود في المَزْمور 40: 17:

أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَبَائِسٌ. الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا إِلهِي لاَ تُبْطِئْ.

فَكُلَّما زادَ بُؤسُنا، زَادَ اهْتِمامُ اللهِ بِنا، يا أحبَّائي. فَهُوَ عَوْنُنا وَمُنْقِذُنا وَإلَهُنا. آمين.

وَنَأتي الآنَ، يا أصدقائي، إلى المَزمورِ الحادي والأرْبَعينَ، وَهُوَ مَزْمورٌ لِداوُد. وَنُلاحِظُ هُنا أنَّ هَذا المَزمورَ يَبْتَدِئُ أيضًا بالتَّطْويبِ. فقدِ ابْتَدَأ المَزمورُ الأوَّلُ بالتَّطويبِ. وَهَذا المَزمورُ يَبْتَدِئُ أيضًا بالتَّطويبِ إذْ نَقْرَأُ في الأعْداد 1 3:

طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ. فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ. الرَّبُّ يَحْفَظُهُ وَيُحْيِيهِ. يَغْتَبِطُ فِي الأَرْضِ، وَلاَ يُسَلِّمُهُ إِلَى مَرَامِ أَعْدَائِهِ. الرَّبُّ يَعْضُدُهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الضُّعْفِ. مَهَّدْتَ مَضْجَعَهُ كُلَّهُ فِي مَرَضِهِ.

إنَّ الكِتابَ المقدَّسَ يَتحدَّثُ كثيرًا عن المَساكين، وعَن اهْتِمامِ اللهِ بهم. واللهُ يَدْعونا دائمًا في كَلِمَتِهِ إلى مُساعَدَةِ المَساكينِ والفُقَراءِ والمُحْتاجين. والحقيقةُ هي أنَّنا نَقرأُ في سِفْرِ الأمْثال 19: 17: "مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ، وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ". لذلكَ، لا تَتَرَدَّد، يا صَديقي، في مُساعَدَةِ الفُقَراءِ والمُحْتاجينَ لأنَّ في طَاعَةِ الرَّبِّ بَرَكَة عَظيمَة لِحياتِك. وكما قَرَأنا قَبْلَ قَليل: "طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ". بعبارةٍ أُخرى: يا لِسَعادَةِ الإنْسانِ الَّذي يَرْحَمُ المِسْكينَ.

وَيَتَحَدَّثُ داوُدُ هُنا عَنِ الرَّبِّ بطريقةٍ شَخصيَّةٍ جدًّا فيقولُ إنَّكَ إذا ساعَدْتَ الفُقَراءَ والمُحْتاجينَ فإنَّ الرَّبَّ سَيُنَجِّيكَ في يَوْمِ الشَّرِّ، وَيَحْفَظُكَ، وَيُحْيِيكَ، وَيُفَرِّحُ قَلْبَكَ. وهُوَ لَنْ يَدَعَكَ تَسْقُطُ بأيْدي أعْدائِكَ. وَهُوَ سَيَكونُ مَعَكَ على فِراشِ المَرَضِ وَيَرُدُّ إليكَ عافِيَتَكَ. ويا لَها مِنْ بَرَكاتٍ عَظيمَةٍ، يا أحبَّائي!

ثُمَّ يَتَحَدَّثُ داوُدُ عَنْ بُغْضَةِ أعْدائِهِ وَخِيانَةِ أصْدِقائِهِ لَهُ فيقولُ في الأعْداد 4 9:

أَنَا قُلْتُ: «يَا رَبُّ ارْحَمْنِي. اشْفِ نَفْسِي لأَنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ». أَعْدَائِي يَتَقَاوَلُونَ عَلَيَّ بِشَرٍّ: «مَتَى يَمُوتُ وَيَبِيدُ اسْمُهُ؟» وَإِنْ دَخَلَ لِيَرَانِي يَتَكَلَّمُ بِالْكَذِبِ. قَلْبُهُ يَجْمَعُ لِنَفْسِهِ إِثْمًا. يَخْرُجُ. فِي الْخَارِجِ يَتَكَلَّمُ. كُلُّ مُبْغِضِيَّ يَتَنَاجَوْنَ مَعًا عَلَيَّ. عَلَيَّ تَفَكَّرُوا بِأَذِيَّتِي. يَقُولُونَ: «أَمْرٌ رَدِيءٌ قَدِ انْسَكَبَ عَلَيْهِ. حَيْثُ اضْطَجَعَ لاَ يَعُودُ يَقُومُ». أَيْضًا رَجُلُ سَلاَمَتِي، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ!

إذًا هذا هوَ الكلامُ الَّذي كانَ أعْداءُ داودُ يَقولونَهُ عنهُ. فقد كانوا يَقولونَ عَنْهُ شَرًّا، وَيَتَمَنَّوْنَ مَوْتَهُ، ويَتآمرونَ عليهِ. وقد كانُوا يُعامِلونَهُ بوَجْهَيْن. فَقَدْ كانوا يُظْهِرونَ كُلَّ لُطْفٍ أمامَهُ، ولكنَّهُمْ كانُوا يُفْشُونَ أسْرارَهُ وَيُجازُوْنَهُ شَرًّا عَنِ الخَيْرِ الَّذي يَفْعَلُهُ مَعَهُمْ. وَحِيْنَ نَقرأُ هذهِ الكلماتِ، لا يَسَعُنا إلَّا أنْ نَتذكَّرَ يَهوذا الإسْخَرْيوطِيَّ الَّذي خانَ رَبَّهُ وَمُعَلِّمَهُ يَسوعَ المَسيح. وَقَدِ اقْتَبَسَ يَسوعُ ما جاءَ في هذا المَزْمورِ فَقالَ في إنْجيل يوحنَّا 13: 18: "لَسْتُ أَقُولُ عَنْ جَمِيعِكُمْ. أَنَا أَعْلَمُ الَّذِينَ اخْتَرْتُهُمْ. لكِنْ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ: اَلَّذِي يَأْكُلُ مَعِي الْخُبْزَ رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ".

وَأخيرًا، يَخْتِمُ داوُدُ المَزمورَ الحادي والأرْبَعينَ بِالصَّلاةِ والشُّكْرِ فيقولُ في الأعْداد 10 13:

أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَارْحَمْنِي وَأَقِمْنِي، فَأُجَازِيَهُمْ. بِهذَا عَلِمْتُ أَنَّكَ سُرِرْتَ بِي، أَنَّهُ لَمْ يَهْتِفْ عَلَيَّ عَدُوِّي. أَمَّا أَنَا فَبِكَمَالِي دَعَمْتَنِي، وَأَقَمْتَنِي قُدَّامَكَ إِلَى الأَبَدِ. مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ.

وبِهَذا يَنْتَهي الكِتابُ الأوَّلُ مِنْ سِفْرِ المَزامير. فسِفْرُ المَزامير يُقْسَمُ إلى خَمْسَةِ كُتُبٍ. ويَرى مُفَسِّرونَ أنَّ هذهِ الكُتُبَ الخَمْسَةَ الَّتي يَتألَّفُ مِنْها سِفْرُ المزامير تُناظِرُ أسْفارَ مُوسى الخَمْسَة. وكَما نَرى هُنا فإنَّ كُلَّ كِتابٍ في سِفْرِ المَزامير يَنْتَهي بِتَمْجيدِ اللهِ إذْ نَقْرَأُ: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، مِنَ الأَزَلِ وَإِلَى الأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ".

ونأتي الآنَ، يا أحبَّائي، إلى الكِتابِ الثَّاني مِنْ سِفْرِ المَزامير، وَهُوَ يَحْوي المَزامير مِنْ 42 إلى 72. والمَزْمورُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ هُوَ قَصيدَةٌ لِبَنِي قُورَحَ. والآنْ، نَقرأُ في العَدَدَيْنِ الأوَّلِ والثَّاني مِنْ هذا المَزمور:

كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ.
عَطِشَتْ نَفْسِي إِلَى اللهِ، إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ اللهِ؟

وَما أجْمَلَها مِنْ كَلِماتٍ، يا أصْدقائي! وَهِيَ تُذَكِّرُنا بِما قالَهُ يسوعُ في إنْجيل مَتَّى 5: 6 إذْ نَقْرَأُ: "طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ". ويُعَبِّرُ ناظِمُ هذا المَزمور عنْ شَوْقِهِ إلى اللهِ الحَيِّ. وقد قالَ يَسوعُ في إنْجيل يُوحَنَّا 7: 37 و 38: "إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ". فيُوْجَدُ في قَلْبِ كُلِّ إنْسانٍ عَطَشٌ إلى اللهِ وَإلى العَلاقَةِ مَعَهُ. ولكِنْ لا يُمْكِنُ لأيِّ شَخْصٍ أوْ شَيءٍ أنْ يُرْوي هذا العَطَشَ إلَّا الله. ومِنَ المؤسِفِ أنَّ أُناسًا كثيرينَ في العالمِ يَسْعَوْنَ إلى إرْواءِ عَطَشِهِمْ هذا بِأمورٍ كَثيرةٍ. ولكِنَّهُمْ يَكتشفونَ في نِهايَةِ المَطافِ أنَّهمْ لم يَجِدُوا الارْتِواءَ الحَقيقيَّ الَّذي كانُوا يَبْحَثونَ عَنْهُ. أمَّا مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الماءِ الَّذي يُعْطيهِ الرَّبُّ يَسوعُ المسيحُ فإنَّهُ يَجِدُ الارْتِواءَ الحَقيقيَّ.

ثُمَّ يَقولُ المُرَنِّمُ في الأعْداد 3 5:

صَارَتْ لِي دُمُوعِي خُبْزًا نَهَارًا وَلَيْلاً إِذْ قِيلَ لِي كُلَّ يَوْمٍ: «أَيْنَ إِلهُكَ؟»
هذِهِ أَذْكُرُهَا فَأَسْكُبُ نَفْسِي عَلَيَّ: لأَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ مَعَ الْجُمَّاعِ، أَتَدَرَّجُ مَعَهُمْ إِلَى بَيْتِ اللهِ بِصَوْتِ تَرَنُّمٍ وَحَمْدٍ، جُمْهُورٌ مُعَيِّدٌ. لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ ارْتَجِي اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، لأَجْلِ خَلاَصِ وَجْهِهِ.

إذًا فقد كانَ المُرَنِّمُ يَشْعُرُ بالاكْتِئابِ بسببِ مُضايَقاتِ أعْدائِهِ وَمَنْ يُعَيِّرونَهُ بإلَهِهِ. ولكنَّهُ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لهذهِ المَشاعِرِ الحَزينَةِ، بَلْ ذَكَّرَ نَفْسَهُ بِقُوَّةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ ونِعْمَتِهِ قائلًا: "لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ ارْتَجِي اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، لأَجْلِ خَلاَصِ وَجْهِهِ". لذلك،

إذا شَعَرْتَ، يا صَديقي، بالإحْباطِ والفَشَلِ، لا تَسْتَسْلِمْ لليَأس. بل تَذَكَّرْ أنَّ الرَّبَّ يُحِبُّكَ، وَأنَّهُ أمينٌ، وَأنَّهُ قادِرٌ أنْ يُنْعِشَ نَفْسَكَ وَيُعْطيكَ فَرَحًا لا يُنْطَقُ بِهِ وَمَجيد.

ثُمَّ نَقْرَأُ في الأعْداد 6 11:

يَا إِلهِي، نَفْسِي مُنْحَنِيَةٌ فِيَّ، لِذلِكَ أَذْكُرُكَ مِنْ أَرْضِ الأُرْدُنِّ وَجِبَالِ حَرْمُونَ، مِنْ جَبَلِ مِصْعَرَ. عُمْرٌ يُنَادِي عُمْرًا عِنْدَ صَوْتِ مَيَازِيبِكَ. كُلُّ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ طَمَتْ عَلَيَّ. بِالنَّهَارِ يُوصِي الرَّبُّ رَحْمَتَهُ، وَبِاللَّيْلِ تَسْبِيحُهُ عِنْدِي صَلاَةٌ لِإِلهِ حَيَاتِي. أَقُولُ للهِ صَخْرَتِي: «لِمَاذَا نَسِيتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِينًا مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟» بِسَحْقٍ فِي عِظَامِي عَيَّرَنِي مُضَايِقِيَّ، بِقَوْلِهِمْ لِي كُلَّ يَوْمٍ: «أَيْنَ إِلهُكَ؟» لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلاَصَ وَجْهِي وَإِلهِي.

نُلاحِظُ هُنا، يا أصدقائي، أنَّ المُرَنِّمَ كانَ صَادِقًا معَ اللهِ ولَمْ يُحاوِلْ أنْ يُخَبِّئَ مَشاعِرَهُ الحَقيقيَّةَ عَنْهُ. وَهَذا أمْرٌ مُهِمٌّ جِدًّا. فاللهُ يَعْلَمُ كُلَّ شيءٍ عَنَّا. ولكنَّهُ يُريدُ مِنَّا أنْ نَأتي إليهِ بِهُمومِنا وَمَشاكِلِنا وَأثْعابِنا. فقد قالَ يَسوعُ في إنْجيل مَتَّى 11: 28: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِـي الأحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِـي خَفِيفٌ".

وَقَدْ تَشْعُرُ، عَزيزي المُستمِع، أحيانًا أنَّ الرَّبَّ قَدْ نَسِيَكَ. ولكنَّ هَذِهِ المَشاعِرَ ليسَتْ صَحيحَةً وليسَتْ مِنَ اللهِ، بل هيَ مِنْ عَدُوِّ الخيرِ إبليسَ الَّذي يُريدُ دائمًا أنْ يُشَكِّكَكَ في مَحَبَّةِ اللهِ لكَ. والحقيقةُ هي أنَّ اللهَ لم يَعِدْنا بأنْ يُخَلِّصَنا مِنْ جَميعِ مَشاكِلِنا. فَالمُؤمِنونَ يَتَأَلَّمونَ أحْيانًا أكثرَ مِنْ غيرِ المؤمنين. ولكِنَّ الفَرْقَ الجَوْهَرِيَّ هُوَ أنَّ اللهَ وَعَدَنا بأنْ يكونَ مَعَنا دائمًا. وَهَذا يَعْني أنَّهُ يُقَوِّينا، ويُعَزِّينا، وَيَمْنَحُنا رَجاءً. أمَّا غيرُ المؤمنينَ فإنَّهُمْ يُواجِهونَ المَشاكِلَ وَحْدَهُمْ لأنَّهُمْ اخْتاروا ذلك بأنْفُسِهِمْ. إذًا، عِنْدَما تَشْعُرُ بالإحْباطِ والكَآبَةِ، رَدِّدْ هذهِ الكَلِماتِ: "لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَئِنِّينَ فِيَّ؟ تَرَجَّيِ اللهَ، لأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلاَصَ وَجْهِي وَإِلهِي". آمين.

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

لَقَدْ رَأينا مِنْ خلالِ هذهِ المزامير أنَّ المُؤمِنَ يَخْتَبِرُ كُلَّ أصْنافِ الهُمومِ والمَتاعِبِ والمَشاكِلِ في حَياتِهِ. ولكِنَّ المُؤمِنَ يَعْلَمُ يَقينًا أنَّهُ لا يَسيرُ في وادي ظِلِّ المَوْتِ وَحْدَهُ. فَاللهُ المُحِبُّ هُوَ مَعَنا دائِمًا وَنِعْمَتُهُ تَكْفينا.

وَفِي الحَلَقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" (بِمَشيئَةِ الربِّ) دِراسَتَهُ لِسِفْرِ المَزامير. لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

نَشْكُرُكَ، يا أبانا، لأنَّنا نَستطيعُ أنْ نَتَّكِلَ عليكَ عالِمينَ يَقينًا أنَّكَ تُحِبُّنا وَتَعْتَني بِنا. وَنَشْكُرُكَ لأنَّ كَلِمَتَكَ "حَيَّةٌ، وَفَعَّالَةٌ، وَأمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْن، وَخَارِقَةٌ إلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ". ونحنُ نَسْأَلُكَ، يا رَبّ، أنْ تُبارِكَ مُسْتَمِعينا، وَأنْ تُعْطي كُلَّ شَخْصٍ مِنْهُمْ نِعْمَةً لكي يَخْتَبِرَ جُوْدَكَ وَصَلاحَكَ اليوم. باسْمِ رَبِّنا وَمُخَلِّصِنا يَسوعَ المَسيح. آمين.